

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة . سنتحدث اليوم عن موضوع هام يمس حياتنا جميعاً كبشر . ألا وهو موضوع التوبة عن أفعال الشر ، أو الخطيئة التي نرتكبها . لكن قبل أن نتحدث عن موضوع التوبة ، لا بد لنا أن نتكلم عن إختبار كل شخص منا ، وهو الذي يؤكد أننا نخطئ يومياً . إن كان بكلامنا أم بتصرفاتنا أم بنظراتنا ، وحتى بأفكارنا . فنحن نرتكب الخطيئة ، ونسقط في الإثم كل يوم . وهذه حقيقة مؤكدة . لنأخذ كلامنا مثلاً ، فهو لا يخلو من الألفاظ النابية التي قد نوجهها إلى الآخرين ، أو من الكلمات غير اللائقة أو البذيئة ، أو حتى من الكذب ، وكلام الخداع والتملق والنميمة . أما بالنسبة لتصرفاتنا أو سلوكنا ، فنحن ننحرف في طريق الإثم والشر كلما سمحت الفرصة لنا . ونفكر أفكار الشر والإثم ، التي قد تتحول إلى أفعال ، وكذلك نخطئ بنظراتنا الشريرة .

إن الحقيقة التي نريد أن نؤكد عليها ، هي أنه لا يوجد إنسان صالح أو بار ، أو إنسان لم يخطئ في حياته . وهذا ما أكدته لنا كلمة الله الحية كما جاءت في الكتاب المقدس ، إذ قالت : "الجميع زاغوا وفسدوا معا . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد . " ثم أضافت كلمة الله قائلة : "حنجرتهم قبر مفتوح . بألسنتهم قد مكروا . سم الأصلاص تحت شفاههم . وفمهم مملؤ لعنة ومرارة . أرجلهم سريعة إلى سفك الدم . في طرقهم إغصاب وسحق . وطريق السلام لم يعرفوه . ليس خوف الله قدام عيونهم . " ( رومية ٣: ١٢-١٨ ) أليست هذه هي حالة الإنسان يا صديقي في كل زمان ومكان ؟

ومهما حاول الإنسان الإدعاء بغير ذلك ، فإنه لن يستطيع أن ينكر حقيقة كونه ، يفعل الشر ويسقط في الإثم . لا بل إن كلمة الله تخبرنا أكثر من ذلك ، إذ تقول أن الإنسان مولود بالشر والخطيئة . فهاهو النبي داود يكتب قائلاً : "هأنذا بالإثم صورت ، وبالخطيئة حبلت بي أمي . " (مز ٥١: ٥) فإذا كان النبي داود كتب عن نفسه هكذا فماذا عنا نحن ؟ مع العلم أن النبي داود كان يتكلم عن حقيقة البشر جميعاً . أجل لقد ورثنا جميعاً يا صديقي طبيعة الشر والخطيئة عن آباؤنا . وهم ورثوها من آدم وحواء . ولهذا لم تخطئ كلمة الله عندما قالت أن الطبيعة الشريرة هي التي تتحكم فينا ، لا بل أننا عبيد للشر والخطيئة . وفي هذه الحالة ، وكعبيد للشر والإثم ، لا بد أن ننساق وراء شهواتنا ، وأن نسقط في الخطيئة والإثم .

فإذا كان هذا هو وضعنا فأين طريق النجاة ؟ وكيف بنا نتحرر من سلطة الخطيئة وعبوديتها ؟ قد يجيب البعض داعين الإنسان لكي يقوم بأعمال الإحسان والصلاح والبر ، وإداء واجباته وفرائضه

الدينية ، كالصلاة والصوم وزيارة الأماكن المقدسة ، ومساعدة المحتاجين من أمواله . لكن السؤال هنا : هل هذه الأعمال الصالحة والواجبات الدينية تغير أو تبدل من حقيقة كوني إنسانا خاطئا مستعبدا للخطية ؟ وهل تساعدني حقا لكي لا أنساق وراء شهواتي أو أفعل الإثم ؟ والجواب عن هذه التساؤلات مع الأسف : كلا . فمهما قمت من أعمال صالحة ، ومهما مارست من واجبات دينية ، فهي لن تستطيع أن تبدل من حقيقة كوني إنسانا خاطئا ، أفعل الشر والإثم يوميا . نعود لطرح السؤال : ما هو الحل لهذه المشكلة التي أواجهها ؟ وكيف بي أتحرر من سلطة الخطية ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات التي طرحناها، نقول : من المهم جدا على الإنسان أن يعترف أولا أنه إنسان خاطئ ، أي يقر بوضعه ، وأنه مستعبد لسلطان الخطية . فإذا لم يعترف الإنسان بحالته ، فمن الصعب جدا عليه أن يطلب التحرر من سلطة الخطية . كالإنسان المريض ، فهو لن يذهب إلى الطبيب إلا إذا اكتشف أنه مريض ، وبحاجة إلى علاج . أما إذا أصر الإنسان أنه شخص صالح ومتدين ، وأنه ليس بخاطئ ، فمن المستحيل عليه أن يتقدم خطوة واحدة في الإتجاه الصحيح . لكن أرجو مستمعي أن لا تكون مثل هؤلاء الأشخاص الذين يعتدون بذواتهم . وبعد أن يقر الإنسان أنه خاطئ ، عليه أن يتوب عن خطايا . وتعني التوبة الندم على الخطية والحزن لما أرتكبه الإنسان من آثام . وليس هذا فحسب بل التصميم على ترك طريق الشر ، والسير في طريق الخير .

قد يحزن الكثيرون ويندمون على ما فعلوه من شرور ، لكنهم لا يصممون على تركها . ولهذا نراهم يعودون إلى فعل الشر في اليوم التالي . أو ليس هذا إختبار الكثيرون منا يا أعزائي ؟ تعني التوبة إذن العودة عن طريق الشر ، والسير في طريق آخر هو طريق الخير والصلاح . لكن التوبة تعني أيضا في نفس الوقت ، لا أن نتوب بيننا وبين نفوسنا فقط ، بل أن نتوب إلى الله خالقنا . إننا كأناس خطاة ، نعمل الخطية قد أخطأنا أولا إلى الله تعالى . ولهذا علينا أن نعود ونتوب إليه . وها هو النبي داود يصلي إلى الله تائبا فيقول : " إرحمني يا الله حسب رحمتك . حسب كثرة رافتك أمح معاصي . اغسلني كثيرا من إثمي ومن خطيتي طهرني . لأنني عارف بمعاصي وخطيتي أمامي دائما . إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت ، لكي تتبرر في أقوالك وتزكو في قضائك . " (مز ٥١:٤-٤) فلكي تكون توبتنا توبة صادقة ، علينا أن نعترف بخطايانا ونتوب عنها أمام الله . وليس هذا فحسب ، بل أن نطلب من الله ، كما لاحظنا من صلاة النبي داود ، أن يغفر خطايانا ويطهرنا من كل إثم .

لكن السؤال أو الأسئلة التي تطرح نفسها الآن هي : على أي أساس يغفر الله القدوس خطايانا ؟

وكيف يقبل أناس خطاة نظيرنا ؟ وهل الله يغفر خطايانا هكذا من دون أي مقابل ؟

في الإجابة عن هذه التساؤلات تتضح لنا محبة الله العظمى ، ومدى اهتمامه بنا نحن البشر الخطاة. وكيف أعد لنا طريق الخلاص ، طريق الغفران ، والتحرر من عبودية الخطية أجل صديقي المستمع ، إن الله لعظم محبته لنا ، أرسل من السماء كلمته الأزلي ، فتجسد وصار إنسانا في شخص يسوع المسيح . والهدف ليكون هو المخلص الذي يغفر الله بواسطته ذنوبنا .

لقد ارسل الله المخلص المسيح ، لكي يموت على الصليب آخذا عقاب ذنوبنا ، بالنيابة عنا . وهكذا صار بإمكان كل واحد منّا أن ينال الغفران عن ذنوبه ، إن هو آمن بموت المسيح الكفاري عنه .

إن الله القدوس يقبل أن يغفر خطايانا إذن على أساس كفارة المسيح ، وليس على أي أساس آخر . ولهذا عندما نأتي تائبين إلى الله عن ذنوبنا ، علينا أن نؤمن بعمل المسيح الكفاري من أجلنا على الصليب . وعندها لا يغفر الله خطايانا فحسب ، بل يجعلنا من أولاده . ويهبنا قوته من خلال روحه القدوس ، لكي نبتعد عن طريق الشر ونسلك في طريق الخير . وفوق هذا يعطنا الحياة الأبدية .

هذه هي يا صديقي التوبة الحقيقية . التوبة التي يريدنا الله من كل إنسان . التوبة التي نادى بها المخلص المسيح عندما أتى إلى عالما. ولهذا تابع النبي داود صلواته التي اقتبسنا الجزء الأول منها قبل قليل فقال " **قلبا نقيا اخلق فيّ يا الله وروحا مستقيما جدد في داخلي . لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني .**" إن التوبة الحقّة لا تقف عند طلب الغفران ، لكنها تسعى نحو القلب الجديد المملؤ بالروح القدس . وعندها فقط نستطيع الإنتصار على الخطية ، والسير في طريق الصلاح والخير . والآن وقد عرفت معنى التوبة الحقّة يا صديقي ، ما هو موقفك ؟ ألا تود أن تعترف أولا أنك إنسان خاطئ بحاجة إلى التوبة الحقّة . أولا ترغب أن تتوب وأن تؤمن بالخلاص الذي أعده الله لك من خلال المخلص المسيح ؟ أرجوك أن تفعل ذلك وقبل فوات الأوان ، وهكذا تحصل على الغفران الكامل والحياة الروحية الجديدة والخلود .